بل تظلموا فيهن بإدخال جمعا على أربعة حرم وهي للقلة وذكر البرهمي الفاعدة في الجمع وهو
أن التمييز مع جمع الكثرة وهو ما زاد على العشرة بما كان واحدا أو جمع الضمير ومع القلة وهو العشرة
فما دونها بما كان جمعا جمع الضمير فائدة إذا اجتمع في الضمائر مراعاة اللفظ والمعنى بدئ باللفظ ثم
بالمعنى هذا هو الجادة في القرآن قال تعالى ومن الناس من يقول ثم قال وما هم بمؤمنين أفرد أولا باعتبار
اللفظ ثم جمع باعتبار المعنى وكذا ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم ومنهم من يقول ائذن لي
ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا قال الشيخ علم الدين العراقي ولم يجئ في القرآن البداءة بالحمل على المعنى إلا في
موضع واحد وهو قوله تعالى وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا فأنث
خالصة حملا على معنى ما ثم راعى اللفظ فذكر فقال ومحرم انتهى وقال ابن الحاجب في أماليه إذا حمل على اللفظ
جاز الحمل بعده على المعنى وإذا حمل على المعنى ضعف الحمل بعده على اللفظ لأن المعنى أقوى فلا يبعد الرجوع إليه
بعد اعتبار اللفظ ويضعف بعد اعتبار المعنى القوي الرجوع إلى الأضعف وقال ابن جني في المحتسب لا يجوز
مراجعة اللفظ بعد انصرافه عنه إلى المعنى وأورد عليه قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له
شيطانا ثم قال وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ثم قال حتى إذا جاءنا فأفرد
اللفظ بعد الانصراف عنه إلى المعنى وقال محمود بن حمزة في كتاب العجائب ذهب بعض النحويين إلى أنه
لا يجوز الحمل على اللفظ بعد الحمل على المعنى وقد جاء في القرآن بخلاف ذلك وهو قوله خالدين فيها أبدا قد
أحسن الله له رزقا وقال ابن خالويه في كتاب ليس القاعدة في من ونحوه الرجوع من اللفظ إلى المعنى
ومن الواحد إلى الجمع ومن المذكر إلى المؤنث نحو ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا ومن أسلم وجهه
لله إلى قوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون أجمع على هذا النحويون قال وليس في كلام العرب ولا في شيء
من العربية الرجوع من المعنى إلى اللفظ إلا في حرف واحد استخرجه ابن مجاهد وهو قوله ومن يؤمن بالله
ويعمل صالحا ندخله جنات الآية وحد في يؤمن ويعمل وندخله ثم جمع في قوله خالدين ثم وحد في قوله
أحسن الله له رزقا فرجع بعد الجمع إلى التوحيد فائدة التذكير والتأنيث ضربان حقيقي وغيره فالحقيقي
لا تحذف تاء التأنيث من فعله غالبا إلا إن وقع فصل وكلما كثر الفصل حسن الحذف والإثبات مع الحقيقي
أولى ما لم يكن جمعا وأما غير الحقيقي فالحذف فيه مع الفصل أحسن نحو فمن جاءه موعظة من ربه قد كان
لكم آية فإن كثر الفصل ازداد حسنا نحو وأخذ الذين ظلموا الصيحة والإثبات أيضا حسن نحو وأخذت
الذين ظلموا الصيحة فجمع بينهما في سورة هود وأشار بعضهم إلى ترجيح الحذف واستدل عليه بأن الله
قدمه على الإثبات حيث جمع بينهما ويجوز الحذف أيضا مع عدم الفصل حيث أسند إلى ظاهره فإن كان
إلى ضميره امتنع وحيث وقع ضمير أو إشارة بين مبتدأ وخبر أحدهما مذكر والآخر مؤنث جاز في الضمير
والإشارة التذكير والتأنيث كقوله تعالى قال هذا رحمة من ربي فذكر والخبر مؤنث لتقدم السد وهو
مذكر وقوله تعالى فذانك برهانان من ربك فذكر والمشار إليه اليد والعصا وهما مؤنثان لتذكير الخبر
وكل أسماء الأجناس يجوز فيها التذكير حملا على الجنس والتأنيث حملا على الجماعة كقوله أعجاز
نخل خاوية أعجاز نخل منقعر إن البقر تشابه علينا وقرئ تشابهت السماء منفطر به إذا السماء انشقت
وجعل منه بعضهم جاءتها ريح عاصف ولسليمان الريح عاصفة وقيس ما في بطون قوله تعالى مما في بطونه

قل هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وقوله فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة وأجيب
بأن ثم للجمعين لفظي وهو كثرة حروف الفواصل في الثاني والحذف مع كثرة الحروف أكثر ومعنوي وهو
أن من في قوله من حقت راجعة إلى الجماعة وهي مؤنثة لفظا بدليل ولقد بعثنا في كل أمة رسولا
ثم قال ومنهم من حقت عليه الضلالة أي من تلك الأمم ولو قال ضلت لتعينت التاء والكلامان واحد وإذا
كان معناهما واحدا كان إثبات التاء أحسن من تركها لأنها ثابتة فيما هو من معناه وأما فريقا هدى
الآية فالفريق مذكر ولو قال فريقا ضلوا لكان بغير تاء وقوله حق عليهم الضلالة في معنى ضلوا فجاء بغير تاء
وهذا أسلوب لطيف من أساليب العرب أن يدعوا حكم اللفظ الواجب في قياس لغتهم إذا كان في مرتبة كلمة
لا يجب لها ذلك الحكم فائدة في التعريف والتنكير اعلم أن لكل منهما مقاما لا يليق بالآخر أما التنكير
فله أسباب أحدها إرادة الوحدة نحو وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى أي رجل واحد ضرب الله مثلا
رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل الثاني إرادة النوع نحو هذا ذكر أي نوع من الذكر
وعلى أبصارهم غشاوة أي نوع غريب من الغشاوة لا يتعارفه الناس بحيث غطى ما لا يغطيه شيء
من الغشاوات ولتجدنهم أحرص الناس على حياة أي نوع منها وهو الازدياد في المستقبل لأن الحرص
لا يكون على الماضي ولا على الحاضر ويحتمل الوحدة والنوعية معا قوله والله خلق كل دابة من ماء
أي كل نوع من أنواع الدواب من نوع من أنواع الماء وكل فرد من أفراد الدواب من فرد من أفراد النطف
الثالث التعظيم بمعنى أنه أعظم من أن يعين ويعرف نحو فأذنوا بحرب أي بحرب وأي حرب ولهم عذاب
أليم وسلام عليه يوم ولد سلام على إبراهيم أن لهم جنات الرابع التكثير نحو أئن لنا لأجرا
أي وافرا جزيلا ويحتمل التعظيم والتكثير معا وإن يكذبوك فقد كذبت رسل أي رسل عظام ذوو
عدد كثير الخامس التحقير بمعنى انحطاط شأنه إلى حد لا يمكن أن يعرف نحو إن نظن إلا ظنا أي ظنا
حقيرا لا يعبأ به وإلا لاتبعوه لأن ذلك ديدنهم بدليل إن يتبعون إلا الظن من أي شيء خلقه أي من
شيء حقير مهين ثم بينه بقوله من نطفة خلقه السادس التقليل نحو ورضوان من الله أكبر أي رضوان
قليل منه أكبر من الجنات لأنه رأس كل سعادة قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل وجعل
منه الزمخشري سبحان الذي أسرى بعبده ليلا أي ليلا قليلا أي بعض ليل وأورد عليه أن التقليل
رد الجنس إلى فرد من أفراده لا تنقيص فرد إلى جزء من أجزائه وأجاب بأنا لا نسلم أن الليل
حقيقة في جميع الليلة بل كل جزء من أجزائها يسمى ليلا وعد السكاكي من الأسباب أن لا يعرف
من حقيقته إلا ذلك وجعل منه أن تقصد التجاهل وأنك لا تعرف شخصه كقولك هل لكم في
حيوان على صورة إنسان يقول كذا وعليه من قول الكفار هل ندلكم على رجل ينبئكم
لأنهم لا يعرفونه وعد غيره منها قصد العموم بأن كانت في سياق النفي نحو لا ريب فيه فلا
رفث أو الشرط نحو وإن أحد من المشركين استجارك أو الامتنان نحو وأنزلنا من السماء ماء
طهورا وأما التعريف فله أسباب فبالإضمار لأن المقام مقام التكلم أو الخطاب أو الغيبة وبالعلمية
لإحضاره بعينه في ذهن السامع ابتداء باسم مختص به نحو قل هو الله أحد محمد رسول الله
أو لتعظيم أو إهانة حيث علمه يقتضي ذلك فمن التعظيم ذكر يعقوب بلقبه إسرائيل لما فيه من المدح

Copyright © King Saud University